

مربية الأجيال د.صلاح محمد الشيخ



حظيت الأم بمنزلة عالية ، ومهمة سامية ، يترتب عليها ، ما يتمتع به الأجيال ذكوراً كانوا أو إناثاً ، من اعتقاد وسلوك وأخلاق ، وفكر وإنتاج ، وكل ما نراه ونلمسه ، من استقامة على دين الله ، وأخلاق رفيعة مع عباد الله ، و من تطور فكري ، واقتصادي ، وتنموي ، وثقافي ، لدى الكثير من أبنائنا وبناتنا ، في دفع عجلة الحياة في كل مجالاتها و مستوياتها، فإن اللبنة الأولى التي تأسست عليها كل هذه النجاحات والتطورات هي الأم ! نعم ! هي الأم ، التي وضعت هذه اللبنة ، في عقائد وسلوك وأفكار أبنائنا ، كيف لا ، وقد بدأت حياة هذا المولود ، في أحضانها ، ترضعه الحب والعطف والأخلاق ، وتعديل السلوك ، والنصح والتوجيه ؛ قبل إرضاعه ثديها ، أليست السبع سنوات الأولى ، التي يعيشها ؛ الطفل في حضن أمه الدافئ ، بكفيلة أن تغرس في فكره وسلوكه المبادئ التي يؤمن بها الأبوان ، إيجاباً كانت أو سلباً ، ولا شك أن الأم هي أكثر ملازمة لأولادها وبناتها من الأب ، فهم ينهلون من عقيدتها وطبعها وسلوكها وفكرها ، محاكاة وتقليداً ..

قال بعض التربويين : (اعطني سبع السنوات الأولى من عمر طفلي ؛ أعطيك رجلاً) وهناك مثلٌ يحكى على الألسن (وراء كل رجل عظيم إمراة) أليست الأم هي المعنية بتحقيق هذا كله ، بلى ، وأيم الله ، إنها هي صاحبة الفضل الأول - بعد توفيق الله - في ذلك ..

وقد سطر لنا التاريخ نماذج مشرقة لأمهات ، تخرج من أحضانهنّ ، رجال قادة ، وعلماء ومفكرون ، ومجالات عديدة ، وتخصصات دقيقة ، هذه صفة بنت عبدالمطلب ، ربت ابنها الزبير بن العوام - رضي الله عنه - وأدبته وأحسن تربيته حتى أصبح قائداً من القادة الكبار الذي يشار له بالبنان .

وهذه أم سفيان الثوري رحمه الله: فقد كان لها عظيم الأثر في تنشئة سفيان تنشئة صالحة، وتربيته تربية حسنة، فقد ربّته على حب طلب العلم، والاشتغال به ، وكانت تنفق عليه بمغزلهما (الغزل فتل القطن ونحوه بالمغزل) ، ومن هو سفيان الثوري ، بعد ذلك ؛ أصبح عالماً ورعاً زاهداً ، تقياً نقياً ..

وهكذا نحن نلمس في عصرنا الحاضر من شبابنا وفتياتنا ، من برزوا وأبدعوا في مجالات الحياة الإدارية و الاجتماعية والاقتصادية ، والتقنية ، وغيرها ، حتى ضرب بهم المثل بالتميز في الوظائف والمؤتمرات والمسابقات المحلية والدولية ، وكل هذا لأن التأسيس كان موفقاً ، على يد إمراة موفقة ، (الأم) الصابرة المحتسبة ، فهنيئاً للأم هذه الوظيفة العالية ، التي كرمها الله بها ، فوالذي نفسي بيده ؛ لا تعدلها وظيفة ، عزّ وفخرٌ في الدنيا ، وميراثٌ ، ودعوات ؛ إن كانوا صالحين بعد العمات ، فيا أيّها المربية الفطنة ، لا تسمحى لأحد أن يتولى تربية أولادك ويزاحمك في ثروتك ، وفؤاد قلبك ، فإن مشارب التربية تعددت ، ووسائلها تنوعت ، فإذا تركت هذه الغرسة ، لمن لا يحسن التربية ، أو لا تهتمه ، ثمارها ونتائجها ، حصل الندم ، حال فساد الثمار وخرابها ، فلا يسعنا إلا أن نقول ، جزاك الله خيراً على كل ما تقدمين ، وأبلغك الله كل ما تتمنين في أولادك وبناتك ، ونؤكد لك الوصية بالإخلاص ، والحمم ، والحكمة والعدل ، والشكر لهذه النعمة ، والصبر على مشاقها ، ومتاعبها ، والعاقبة للتقوى .

د.صلاح محمد الشيخ